

البنية الدلالية في اللسانيات العرفانية

بين النظرية والتطبيق

إعداد

أميرة خلف

باحثة دكتوراه - قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة بني سويف

khalifashaban69@gmail.com

الملخص:

قامت اللسانيات العرفانية على أنقاض النظريات السابقة، أو مباينة لها ولا بما هو أكثر أو أقل قيمة، ولا بنظرية لسانية جديدة، وأخرى سيئة، إنما الأمر يرجع لصعوبة اللغة وحاجتها لمقاربات مختلفة وإن بدت في ظاهرها مختلفة عن النظريات السابقة فكثيرا ما انتهت إلى ترسيخ أفكار مشتركة بينها.

ولا يعني تغيير بعض المفاهيم حدوث قطيعة بين منجزات تشومسكي، وتلاميذه حيث يعد تركيز تشومسكي على مركب بعينه وإعطاؤه صفة المركزية له مبرارته التاريخية والمعرفية وله أسبابه التي تصب في خانة تراكم العلوم وصيرورتها، ومما يلفت النظر أيضاً وضع جاكندوف في خانة من خالفوا تشومسكي على الرغم من سعيه الدائم في شرح إشارات تضمنها البرنامج الإدنوي.

الكلمات المفتاحية:

التركيبية، التحويلية، الدلالية "العرفانية.

Abstract:

Cognitive linguistics was established on the ruins of previous theories, or in contrast to them, nor with what is more developed or less valuable, nor with a new linguistic theory, or a bad one. Rather, the matter is due to the difficulty of the language and its need for different approaches, and even if it appears on the surface to be different from previous theories, it often ends in consolidating ideas shared between them.

Changing some concepts does not mean a break between the achievements of Chomsky and his students, as Chomsky's focus on a specific compound and giving it the status of centrality has its historical and epistemological justification and has its reasons that fall into the category of the structures of science and its process. What is also striking is placing Jackendoff in the category of those who disagreed with Chomsky despite From his constant endeavor to explain the signs included in the religious programme.

Keywords: "synthetic, transformational, semantic, cognitive."

المقدمة

اللسانيات التوليدية وعلم اللغة العرفاني هما مجالان فرعيان من اللغويات يدرسان اللغة من وجهة نظر مختلفة يركز علم اللغة التوليدي على بنية اللغة ونظريتها ويدرس كيفية إنشاء اللغة وفهمها من قبل المحديثين ويهتم بالقواعد والمبادئ التي تحكم تكوين الجملة والمعاني التي تنقلها من ناحية أخرى فإن علم اللغة العرفاني يقوم بدراسة اكتساب اللغة ومعالجتها وإنتاجها في الدماغ البشري والفرق الرئيسي بين المجالين هو أن علم اللغة التوليدي يتعامل مع الجوانب النظرية المجردة للغة بينما يركز علم اللغة العرفاني على الجوانب العملية والتجريبية لمعالجة اللغة في العقل البشري.

أهداف البحث:-

يهدف البحث إلى إبراز ماهية اللسانيات العرفانية كعلم حديث في مجال اللغة وأهميتها بالنسبة للعلوم الأخرى، وأسسها ومنطلقاتها المعرفية، بالإضافة التي يمكن أن تسهم بها في مجال اللسانيات، المجتمع والمعرفة الإنسانية عامة، والبحث اللساني خاصة وإبراز توجهاتها الحديثة. منهج البحث:-

اعتمدنا المنهج الوصفي لمناسبتة لموضوع الدراسة، وهو إبراز مفاهيم اللسانيات العرفانية ووصف أهم منطلقاتها واتجاهاتها المعاصرة.

المبحث الأول

مراحل الاهتمام بالنظرية الدلالية

عقب ظهور كتاب "البنى التركيبية" عام 1957م أصدر اللغويان "كانز" وفودر" مقالاً بعنوان "بنية النظرية الدلالية" وذلك من أجل إدماج الدلالة في التركيب، ففطن تشومسكي إلى ذلك وأعاد نظريته وأدخل الدلالة وأعطى لها مكانتها "فبفضل المكون الدلالي أصبح كل تركيب لغوي يختص بمعنى شامل انطلاقاً من الدلالات الفردية للكلمات التي تؤلف هذا التركيب، أي أنه صار لكل مكون تركيبى تمثيل دلالي خاص"¹ فظهرت المرحلة الثانية إلى حيز الوجود مع ظهور كتابه مظاهر البنية التركيبية في عام 1965م، وتعرف هذه النظرية بالنظرية النموذجية

أما المرحلة الثالثة وتبلورت بعد ما نشر تشومسكي ثلاثة مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة والبنية العميقة في نظريته والتي جمعها فيما بعد في كتاب واحد بعنوان "دراسات الدلالة في القواعد التوليدية" وذلك في سنة 1972م، وبات هذا الشكل الجديد يعرف بالنظرية النموذجية الموسعة"².

ثم ظهرت نظرية المبادئ والوسائط عام 1981م، وفي آخر تطورات اللسانيات التوليدية ظهرت النظرية الأدنوية، 1963-1995م، وجاءت لتبسيط النظرية التوليدية والتي تعتبر امتداداً لنظرية العمل والربط من جهة الكشف عن الخصائص العامة للملكة اللغوية وتدقيق آليات اشتغالها والمبادئ العامة المتحكمة في بنائها"³.

ومع كل هذه التعديلات المنهجية لإدراج الدلالة في النحو التوليدي التحولي، لم يستطع تشومسكي الخروج عن منطق الدراسة الشكلية للجملة الذي انطبع به نموذج الأول، إذ لا يزال النحولديه وإلى من تتلمذ على يديه من الدالين الداعين إلى إدراج المكون الدلالي في النحو، "نظاماً من القواعد ترصد البنى الشكلية المجردة المفسرة للأقوال ضمن لغة طبيعية"⁴. حيث لم يخرج

¹ 16 ، ينظر، زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحولية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط 2، 1986م، ص16.

² أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2008م، ص205.

³ مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج إلى ما قبل المعيار إلى البرنامج الإدنوي، ص365.

⁴ أسماء عبداوي، البنية الدلالية من التوليدية النحوية إلى التوليدية الدلالية "The semantic structure of the sentence-From Grammatical generative to semantic generative"، كلية الآداب والفنون، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة الحاج لخضر، باتنة1، الجزائر، ع2021م، ص 75.

المكون الدلالي عن الصياغة الشكلية التي تحصر دوره في تأويل المكون النحوي عبر إسناد تأويل الجملة بعد اكتمالها نحويًا¹

الدلالة العرفانية:

في الوقت الذي تخلق فيه تشومسكي عن النظرية المعيار لقصورها عن تفسير البنية السطحية في التأويل الدلالي، في مقابل الانتقادات التي بقيت متجهة نحو نموذج المعيار بالرغم من التعديلات التي حاول إدخالها للنموذج المعياري عام 1965م، بمحاولة تعميق المكون الدلالي التفسيري². ذهب تيار آخر ظهر في أواخر الستينات على يد روس "Ross" ولايكوف "lakoff" ومكاولي "McCawley" مذهباً معاكساً حين دعا إلى تقليص الفوارق بين الدلالة والبنية العميقة، حتى أصبح كلاهما واحداً، ويصور سوزين الذي ذهب في نفس الاتجاه هذا التقارب بدقة حين يقر "أن التركيب "Semantic Syntax" لا يشمل مكوناً دلالياً ولا بنية تركيبية، إن البنية التحتية الوحيدة هي التمثيل الدلالي، والقواعد التحويلية تحول التمثيل الدلالي إلى بنية سطحية"³. وسمي هذا التوجه المعاكس بتيار الدلالة التوليدية لأنه يقوم على جانب من جوانب القواعد التحويلية التوليدية (لكنه) يختلف عما ذكره تشومسكي في كتابه "مظاهر النظرية التحويلية" وهو أن قواعد العناصر أو المكونات الدلالية "semantic components" إنما هي قواعد توليدية أكثر منها تفسيرية⁴.

من مركزية التركيب إلى هندسة التوازي:

بنى تشومسكي نظريته في بدايتها على مركزية التركيب (المكون التركيبي)، وقد تتلمذ على يد تشومسكي وغيره من كبار علماء اللغة، ولا يقبل أصحاب هذا الاتجاه في دراسة اللغة، القول باستقلالية النظام اللغوي؛ فهم لا يرون انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام. كما تبحث اللسانيات المعرفية في الآليات التي تعمل بها الدماغ/الذهن البشري لتوليد المعرفة واللغة، مستفيدة في ذلك من كل العلوم.

¹ منجي العمري، القيد التركيبي في الجملة العربية، دراسة دلالية لنماذج من الروابط بين النحو العربي والنحو التوليدي، ص 143.

² عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2014م، ص70

³ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، دارتوبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م، ص71

⁴ جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، الأسكندرية، دارالمعرفة الجامعية، ص 180.

والمعرفة اللغوية في هذا التيار لا تميز بين المعرفة اللغوية والمعرفة غير اللغوية؛ فالعمليات العقلية التي تتحكم في التفكير الإنساني وفي تكوين المعرفة بشكل عام هي نفسها التي تتحكم في المعرفة اللغوية وفي تشكيل البنية اللغوية العامة فهناك مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللغوية والمعلومات الأخرى الحركية والبصرية والسمعية غير اللغوية للوصول إلى مجموعة من المعلومات لا ينبغي التمييز داخلها بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي وهو المستوى الذي يطلق عليه البنية التصورية "Conceptual struc".¹

بنى تشومسكي نظريته في بدايتها على مركزية التركيب وقد كان التركيب العنصر الرئيس الذي دارت حوله اللسانيات التوليدية التحولية حيث جعل تشومسكي التركيب في مركز الدائرة بينما الصوت والدلالة في المستوى الثانوي، فقد برهن تشومسكي على أن اللغة تتكلم نسقا توليديا يسمح بانتاج عدد لا حصر له من الجمل المتنوعة، بناء المركبات عنده قائم على الكلمات بينما الصوتيات (نظام أصوات الكلام) والدلالات (نظام معنوي) هما مكونان تأويليان فقط؛ أي إن خصائصها التأليفية لا تعد أصلية بل مشتقة بكيفية صارمة من تأليفية التركيب.²

وفي هذا الصدد تُلح اللسانيات العرفانية على مركزية كل المكونات وتؤكد على أن التركيب "في إطار فرضية التوازي، مجرد مكون للغة بين المكونات الأخرى التي يسهم كل واحد منها في إبداعية اللغة وتعقدتها وطابعها المجرد".³

والحق أن مركزية التركيب كان لها السيطرة فترة من الزمن، فقد كانت الهندسة القائمة على مركزية التركيب تبدو معقولة من بدايات النحو التوليدي، فقد كانت القواعد الصوتية تعدل نطق الكلمات بعد أن ينظمها المكون التركيبي، ولم تكن هناك نظرية دلالية جادة، واعتبر المعنى مجرد قراءة للبنية التركيبية، فأدت هذه الاعتبارات إضافة إلى الصدى الواسع الذي لاقاه التركيب التحولي المبكر إلى تعزيز قوة المركزية التركيبية".⁴

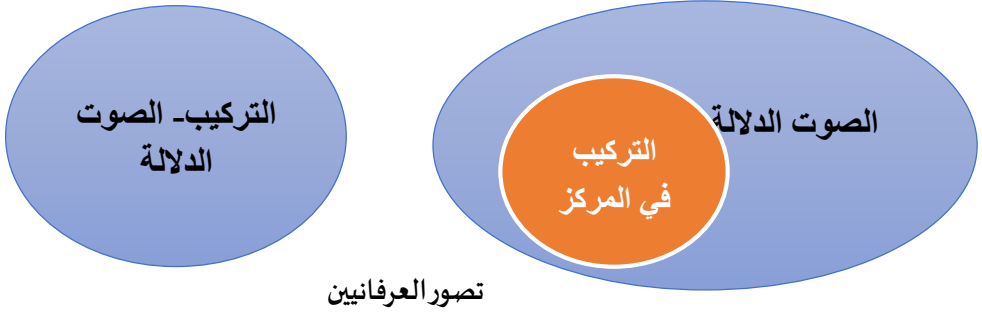
¹ عبد السلام عابي، النذير الضبعي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية، تحولات المباحث والمفاهيم، جامعة أم البواقي، 2018م، ص 129-130.

² جاكندوف ضد تشومسكي http://mustafahaddad.blogspot.com/2007/05/blog-post_15.html

³ محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ص 15

⁴ المرجع السابق، ص 19.

ويوضح البيان نقاط الاختلاف بين الاتجاهين في الشكل التالي:



مخطط رقم (1) نقاط الاختلاف بين تشومسكي والعرفانيين:

يوضح المخطط الأول تصور تشومسكي الذي فصل بين التركيب من جهة والصوت والدلالة من جهة ثانية، جاعلا من التركيب في المركز بينما، يخالف العرفانيون ذلك بإعطاء نفس الأهمية للمكونات جميعها، وهو ما يوضحه النموذج الثاني.

البنية الدلالية بنية تصورية:

تعد البنية التصورية واحدة من أهم المباحث التي تميز البحث اللساني العرفاني عن البحث اللساني التوليدي، وكأن تشومسكي قد ألح على انفصال الآليات اللغوية المسؤولة عن إنتاج اللغة في الدماغ وفهمها، مما يعني إنتاج اللغة وفهمها عنده تتم على مستوى جهاز مفصول عن بقية العمليات الذهنية كالإدراك والخيال والتصور وغيرها.

وتخص البنية التصورية عند العرفانيين كل المعارف التي تتم صناعتها في الذهن ولها علاقة بتجارب الإنسان في المواقف الحياتية المختلفة، كما أن مبادئ البنية التصورية تنسحب على معرفتنا بكل أنواع الدلائل واستعمالها. فهي تتعلق بتجاربنا الفكرية والجمالية والحسية مع اللون والحجم والهيئة والصوت... إنها تهم مختلف أنساقنا المعرفية الإدراكية.¹

تصور إنتاج اللغة وفهمها في الاتجاهين التوليدي والعرفاني في الشكل التالي:

¹ محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص92.

في اللسانيات التوليدية	في اللسانيات المعرفية
• الصوت والدلالة مكونان تأويليان في مرتبة أقل من مرتبة التركيب الذي يحتل مكانة مركزية عند تشومسكي. • إنتاج اللغة وفهمها يتم بمعزل عن بقية العمليات الذهنية.	• يعد الصوت والدلالة مكونان موازيان للتركيب ولهما نفس المكانة. • المعنى في نظرية الدلالة التصورية عبارة عن تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي هو البنية التصورية وهي ليست جزءا من اللغة وإنما هي جزء من الفكر.

الشكل رقم (1)¹

ولا يعني ذلك أن اللسانيات المعرفية قامت على أنقاض النظريات السابقة، أو مباينة لها ولا بما هو أكثر تطوراً أو أقل قيمة، ولا بنظرية لسانية جديدة، وأخرى سيئة، إنما الأمر يرجع لصعوبة اللغة وحاجتها لمقاربات مختلفة وإن بدت في ظاهرها مختلفة عن النظريات السابقة فكثيراً ما انتهت إلى ترسيخ أفكار مشتركة بينها.

وفي النهاية لا يعني تغيير بعض المفاهيم حدوث قطيعة بين منجزات تشومسكي، وتلاميذه حيث يعد تركيز تشومسكي على مركب بعينه وإعطاؤه صفة المركزية له مبرارته التاريخية والمعرفية وله أسبابه التي تصب في خانة تراكيب العلوم وصيرورتها، ومما يلفت النظر أيضاً وضع جاكندوف في خانة من خالفوا تشومسكي على الرغم من سعيه الدائم في شرح إشارات تضمها البرنامج الإدنوي.

¹ ينظر: غيد السلام عابي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية، تحولات المباحث والمفاهيم،

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية على البنية الدلالية في نماذج مختارة من مجموعة "أرخص ليالي".

مقدمة:-

يعد المبحث الدلالي في دراسة اللغة من أهم المباحث التي التف حولها اللسانيون على اختلاف مشاربهم؛ ومن بين هؤلاء راي جاكندوف الذي أفرد نظرية كاملة عن البنية التصورية في كتابه علم الدلالة والعرفانية ولقد أبانت لنا هذه الدراسة عن أن جاكندوف قد بنى نظريته الدلالية والبنية التصورية اللذين يمثلان المستوى الذهني، متجاوزاً بذلك مركزية التركيب عند تشومسكي.

مفهوم علم الدلالة:

الدلالة في اللغة: جاء في لسان العرب لابن منظور (71هـ) في مادة دلل ما يلي:
دله على الشيء يدلّه دلاً ودلالة فاندل: سدده إليه.
والدليل ما يستدل به والدليل: الدال وقد دله على الطريق يدلّه دلالة ودلالة ودلولة والفتح أعلى.

والاسم: الدلالة والدلالة بالكسر والفتح والدلولة والدليلي . وقال سيبويه: والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها.¹

اصطلاحاً: الدلالة في الاصطلاح تعني "الاستدلال": فهي شقان دال ومعنى؛ ف الدال هو المتولد من المعنى الأصل، وأما المعنى "sens" فمتولد من الدلالة: على الشيء ما يمكن كل أن يستدل بها علمها كمثال ذكر (الخالق والإبداع) دلالة على الخالق.
الاستدلال: وهو الفعل الذي يقوم به المُستدلّ .

الدلالة: ما يمكن أن يستدل بها كوسيلة من وسائل الحقيقة²

¹ ينظر ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، تح. أحمد سالم الكيلاني، وحسن عادل النعيمي مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط1، 2011، ج7، مادة (دل ل)، ص 152-153.

² ينظر: طالب محمد إسماعيل: مقدمة لدراسة علم الدلالة" في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري) دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2011م، ص 18-19.

أي أن الدلالة هنا ثنائية متلازمة من مسموع ومفهوم؛ المسموع هو اللفظ والمفهوم هو المعنى.

ومن بين هذه الدلالات:

الدلالة المعجمية: واحدة من أنواع الدلالات التي تناولها اللغويون ونصوا عليها في دراساتهم وتعني الوصول للمعنى الحقيقي للألفاظ على أنه يمكن للمعنى الحقيقي للفظ المعاني المجازية ويقول منقول عبد الجليل "الدلالة المعجمية: المعنى الذي تحمله الوحدة المعجمية حينما ترد مفردة"¹. وهذا ما يعرف عند الدالين بالدلالة الإضافية، ولدى البلاغيين بالمعنى المجازي للفظ. العنونة: تنامي الاهتمام بالعنوان في الدراسات النقدية الحديثة، التي أكدت على أهميته باعتباره "أول علامة على طريق التلقي، ومفتاحاً سيمويًا يختزل بنية النص وكنهه في كلمة أو بضع كلمات"². لهذا فهو غالباً ما يمتاز بالإغراء والتكثيف والإحالة كما أن طبيعته التحريضية الاستفزازية يدعو القارئ إلى طرح مجموعة من الأسئلة تكون الفتيل الأول للقراءة"³.

ومن بين الرموز اللغوية جاء عنوان القصة (نظرة) لقد اختار الكاتب لقصته عنواناً مكثفًا وملمحاً مكوناً من كلمة واحدة ألا وهي "نظرة" لما لهذا العنوان من دلالات كثيرة وقد اشتغل الكاتب على توظيف الإحالة الدلالية للعنوان عبر زاويتين فهو يلخص لنا عدة أمور ويلمح لهدف الكاتب من وراء القصة

الأولى: النظرة يمكن أن تكون نظرة الطفلة التي توحى بالحسرة والألم النفسي الشديد لدى هذه الطفلة، وهي تشاهد أطفالاً في مثل سنّها يلعبون ويمرحون ويصرخون، بينما هي محرومة من اللعب والضحك، بل تشقى وتعمل تنفيذاً لأوامر سيدتها، وإلا نالت العقاب الشديد.

الثانية: نظرة الراوي وهي نظرة الشاهدة الرقيب المتأمل بالواقع الاجتماعي اللا إنساني لتلك الطفلة المحرومة من اللعب وتحمل مسؤولية أكبر من عمرها بالعمل كخادمة، وهو يشير بذلك إلى قضايا الطبقات الفقيرة المستعبدة من قبل الطبقات الغنية، فنظرة إذن نظرة عطف ورأفة ومحاولة منه لإصلاح هذا الواقع المرير بتوجيه الأنظار إلى هذه الطبقات المسحوقة.

¹ منقول عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، الناشر: اتحاد الكتاب العرب. دمشق - 2001، ص 64.

² عبدالله الفيفي، حادثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية، قراءة نقدية في تحولات المشهد الإبداعي، النادي الأدبي بالرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2005، ص 16.

³ عبد القادر رحيم، علم العنونة، دراسة تطبيقية، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط 1، 2010م، ص 8.

ومن بين هذه المفردات التي وردت بمعناها الحقيقي في المعجم واستعمال النص الأدبي لها كمعنى مجازي: حيث انتفى يوسف إدريس ألفاظه بدقة متناهية لكل لفظ أو عبارة اختارها دلالة ورمزية معينة تتعلق بالقضية التي يعالجها ما يلي:

"كان غريباً أن تسأل طفلة صغيرة مثلها إنساناً كبيراً مثلي لا تعرفه في بساطة وبراءة أن يعدل من وضع ما تحمله وكان ما تحمله معقداً حقاً".

حملاً معقداً:- والمعنى الحقيقي لهذا اللفظ هو الشيء المادي الذي يحمله الإنسان بينما نجده هنا يرمز إلى الظلم الشديد والمعاناة التي تعيشها هذه الطفلة في مجتمع طبقي، والمسئولية التي تقع على عاتقها رغم صغر سنّها وهو معنى.

ولست أدري ما دار في رأسها فما كنت أرى لها رأساً وقد حجبته الحمل، كل ما حدث أنها انتظرت قليلاً لتتأكد من قبضتها، ثم مضت وهي تغمغم بكلام كثير لم تلتقط أذني منه إلا كلمة ستي".

كلمة "ستي": بهذه الكلمة اختصر ولخص معاناة هذه الطفلة والتي ترمز هنا للظلم والمعاناة التي تعيشها الطفلة.

الخادمة: الطفلة: استخدم الكاتب لفظ الخادمة لوصف الظلم الاجتماعي الفادح الواقع عليها: وهي التي تحتاج إلى الرعاية والخدمة في هذه السن الصغيرة.

دلالة السياق: من سوق مصدر ساقا، وأصله سواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين، فالسين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدود الشيء، ويقال ساقه يسوقه سوقاً، وسقت إلى إمراتي الصداق وأسقته، وتسوقت الإبل تساقاً إذا تتابعت.¹

السياق اصطلاحاً: قال ابن دقيق العيد: "أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه".²

السياق اللفظي: يقصد به النظم اللفظي للكلمة، وموقعها منه، ويشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي توجد فيه اللفظة في الجملة قد يُكسبها السياق توجهاً دلالياً، وقد تأتي في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى.

¹ ابن منظور، لسان العرب، (435/6).

² ابن دقيق، ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، د.ط، د.ت، (21-2).

وللسياق قرائن مكونة له "أفضل قرينة تقوم على حقيقية معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى واثلافة مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملة"¹. السياق المقامي: والمقصود منه سياق الموقف أو الحال، أو السياق الخارج عن النص، ويقصد به السياق الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة ويشمل كل ما يحيط باللفظ من عناصر غير لغوية مثل الإيماءات التي تعطي للألفاظ دلالتها.

"ورأيتها في عجب وهي تشب قدميها العاريتين كمخالب الكتكوت في الأرض، وتهتز وهي تتحرك، ثم تنظر هنا وهناك بالفتحات الصغيرة الداكنة السوداء في وجهها..."

قدميها العاريتين كمخالب الكتكوت في الأرض: رجلها اللتين كانتا تطلان كمسمارين رفيعين "حول الكاتب مخالب الكتكوت إلى أظافر تارة ومسمارين رفيعين تارة أخرى للدلالة على فقرها وتشبسها بالأرض حتى لا تنزلق أقدامها وهي صورة تدل على شدة الضعف.

الدلالة النفسية: ينشأ المعنى النفسي استجابة لما يمثله اللفظ من مثير، يلقي أثرًا انفعاليا معينا عند الفرد، فيعكس هذا المعنى جانبًا من اهتمامات هذا الفرد وتطلعاته، وانفعالاته، فيحاول التعبير عنها أو إخراجها على هيئة استجابة انفعالية يحملها المعنى وكثيرًا ما يكون المعنى صدى لحالة نفسية شعورية يعيشها المتلقي لا حالة دلالية يمثّلها اللفظ في سياق استعماله النصي فيظهر المعنى رصد لهذه الحالة الانفعالية...²

ولأن علم الدلالة هي علم إشاري رمزي يدرس العلاقة بين الألفاظ اللغوية والحقائق الخارجية وفي هذا يقول أحمد مختار عمر "إن موضوع علم الدلالة أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز. هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق، وقد تكون إشارة باليد، أو إيماءة الرأس كما قد تكون كلمات وجمالًا. وبعبارة أخرى قد تكون علامات أو رموز غير لغوية تحمل معنى، أو رموز لغوية."³

"وهي تغمغم بكلام كثير لم تلتقط أذني منه إلا كلمة ستي": معناها الحرفي الكلام غير المفهوم، ولكن الكاتب يشير هنا إلى عدم قدرتها على الحوار لأنها تعودت فقط على تنفيذ الأوامر وأنها غير قادرة على التعبير عن رأيها.

¹ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، نج: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة الثانية، 1384 هـ، 1964 م، (11/274).

² محمد جعفر محيسن العارضي، الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب جامعة القادسية، 1423-2002، ص 5-10.

³ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998 م، ص 11-12.

ومن بين الرموز غير اللغوية التي تعبر عن تصورات المجتمع حول الخطاب الصامت الذي يعتري الإنسان هي حركة الجسد ودلالته "والجسد هو الجوهر الممتد القابل للحركة التي يمكن أن تتصل به، فهو حقيقة فيزيائية وعقلية وحسية يمكن ملاحظتها بالعين الباصرة، ويقصد بهذه اللغة الصامتة" كل الإشارات والحركات الجسدية التي يستعملها الإنسان في تواصله مع الآخرين؛ إما في ارتباط مع الكلام (اللغة) أو مستقلة عنه...¹

أنواع الحركات الجسدية:

الحركات الجسدية الفطرية: هي تلك الإيماءات والإشارات الجسدية التي تعبر عن مكنونات النفس ودواخلها، وهي عالمية يفهمها كل الناس كالابتسامة في معنى الفرح، وتقطيب الحاجبين في معنى الغضب وهزة الرأس في معنى القبول، وفتح العينين للدلالة على الدهشة، وإصفرار الوجه للدلالة على المرض والخوف والاشمئزاز وغيرها.

الحركات الجسدية المكتسبة: تتميز باختلافها من مجتمع لأخر فهي حركات غير طبيعية وغير عفوية، وإنما اصطلاحية تتباين بتباين مستعملها؛ فهز الكتفين، ورفع الحاجب وحركة الرأس الأفقية أو العمودية كلها علامات اتفاقية فالبلغاريون مثلاً يحركون رأسهم من أعلى إلى أسفل في علامة النفي بينما نحن نفعل الحركة ذاتها للدلالة على القبول.²

ونظراً لاختلاف ضبط دلالة الحركة من مجتمع إلى آخر، أطلق عليه الدارسون في هذا المجال مصطلح المشترك الحركي". فالحركة الواحدة قد تكون بدلالات مختلفة، مثل حركة "هزة الرأس التي تعبر عن الطرب، الرفض، القبول، حك الرأس التي تدل على التفكير والقلق، توجد قشرة في الرأس، يوجد قمل، حركة فرك الكفين وترمز للفرح والابتهاج أو البرد، رفع الحاجبين إلى الأعلى مع توسع العينين، ودلالات الرفض والتعجب.³

ومن الأمثلة التي توضح دور لغة الجسد في وصف مكنون الشخصية "

"والحكاية أن عبد الكريم ما كان يخطف الأربع ركعات حتى تسلل من الجامع، ومضى في الزقاق الضيق، وقد لف يده وراء ظهره وجعلها تطبق على شقيقتها في ضيق وتبرم وأحنى صدره في تزمّت شديد". فحركة اليد وراء الظهر تدل على الإحباط والتوتر ومحاولة ضبط النفس فالبطل ساخط على الوضع الاجتماعي الذي يعيشه.

¹ محمد إسماعيلي علوي، التواصل الإنساني، دراسة لسانية، دار كنوز المعرفة، ط1، 2012، ص64.

² نسيم عون، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، المرجع السابق، ص107.

³ مهدي أسعد عرار، البيان بلالسان، دراسة في لغة الجسد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص31.

"وكان أكتافه تنوء بحمل "البشت" الثقيل الذي غزله بيده من صوف النعجة ولم يكتف بهذا بل طوى رقبتة في عناد وراح يشمشم بأنفه المقوس الطويل الذي كله حفر سوداء صغيرة ويزوم وقد أطبق فمه فانكمش جلد وجهه النحاسي الأصفر، ووازت أطراف شاربه قمم حواجبه التي كانت ما تزال مبللة بماء الوضوء.

"أكتافه تنوء بحمل البشت الذي غزله بيده من صوف النعجة" والبشت هنا لا يرمز للملابس وثقلها بل زيادة عدد أطفاله بجانب الفقر الشديد الذي تعيشه أسرته " طوى رقبتة في عناد" دلالة على الرفض والاستنكار.

"كان غريباً أن تسأل طفلة صغيرة مثلها إنساناً كبيراً مثلي لا تعرفه في بساطة وبراءة أن يعدل من وضع ما تحمله... وفوق هذه الصبينة الصغيرة يستوي حوض واسع من الصاج مفروش بالفطائر المخبوزة، وكان الحوض قد انزلق رغم قبضتها الدقيقة التي استماتت عليه حتى أصبح ما تحمله كله مهدداً بالسقوط".

قبضتها الدقيقة: إحكام قبضة اليد دلالة رغبتها الشديدة في السيطرة علي الجمل وعدم إفلات الشيء وسقوطه الذي يمثل لها كارثة خوفاً من عقاب سيدتها.

خاتمة

من خلال ما عرضناه في هذه الدراسة تعد مركزية التركيب عند تشومسكي أهم عنصر قامت عليه اللسانيات التوليدية التحويلية في كل مراحلها التاريخية التي مرت بها، وحرصت على أن تتخذ له مكانة في كل نموذج جديد، واستمرت التوليدية في توسيع مكانة المعنى شيئاً فشيئاً حتى صار يشتق من البنية السطحية وليس فقط من التمثيل الدلالي ولا يعني اختلاف اللسانيات العرفانية مع اللسانيات التوليدية أنها قامت على أنقاض النظرة السابقة أو مباينة لها ولا بما هو أكثر تطوراً أو أقل قيمة.

نتائج البحث:

- ❖ إن العرفانية هي اتجاه لساني جديد يهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية التي تتصل بالمعرفة اللسانية والإدراك.
- ❖ المعرفة اللغوية عند العرفانيين جزء من الإدراك العقلي الذي لا يميز بين المعلومات اللغوية وغير اللغوية وأهم مباحثها البنية التصورية التي تميز اللساني العرفاني.
- ❖ إن مركزية التركيب لا تتناسب مع المعالجة العرفانية للغة فالنحو عندهم يضم ثالث الدلالة والإعراب والصوتيات.
- ❖ بروز علم اللسانيات العرفانية ودورها الفعال في رصد المعاني والدلالات على اختلاف أنواعها في الحقل الأدبي أين مزجت بين حقول متعددة في مختلف المستويات الدلالية بالإضافة إلى مراعاة السياقات التي تتحرك فيها اللغة من إحياء ورمز وتضمن ومجاز كل ذلك لخدمة النصوص الأدبية وإغنائها.
- ❖ حاول يوسف إدريس الكشف عن صورة المجتمع في رواياته؛ فاستخدم الواقعية النقدية لتصوير المجتمع الذي يعيش فيه خلال فترة معينة ليعكس بشكل واضح ظروف مجتمعه، وتعد رواياته مرآة حقيقية لتفاصيل المجتمع.
- ❖ وظف الكاتب عنصر الشخصيات ليعكس صورة المجتمع، فمعظم شخصيات يوسف إدريس صور مصغرة لطبقة اجتماعية معينة غالباً ما تعبر عن خصائص هذه الطبقة.

المراجع

- ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، د.ط، د.ت.
- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، تح، أحمد سالم الكيلاني، وحسن عادل النعيمي مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط1، 2011، ج7، مادة (د ل ل).
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
- أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2008م.
- أسماء عبداوي، البنية الدلالية من التوليدية النحوية إلى التوليدية الدلالية " The semantic structure of the sentence-From Grammatical generative to semantic generative -، كلية الآداب والفنون، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة الحاج لخضر، باتنة1، الجزائر، ع2021م.
- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ت.
- زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.
- طالب محمد إسماعيل: مقدمة لدراسة علم الدلالة" في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري) دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2011م.
- عبد السلام عابي، النذير الضبيعي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية، تحولات المباحث والمفاهيم، جامعة أم البواقي، 2018م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م.

- عبد القادر رحيم، علم العنونة، دراسة تطبيقية، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.
- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2014م.
- عبدالله الفيفي، حادثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية، قراءة نقدية في تحولات المشهد الإبداعي، النادي الأدبي بالرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005.
- غيد السلام عابي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية، تحولات المباحث والمفاهيم،
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1964.
- محمد إسماعيلي علوي، التواصل الإنساني، دراسة لسانية، دار كنوز المعرفة، ط1، 2012.
- محمد جعفر محيسن العارضي، الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب جامعة القادسية، 1423-2002.
- محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة دار توبقال المغرب، 2007، ط1.
- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج إلى ما قبل المعيار إلى البرنامج الإدنوي.
- منجي العمري، القيد التركيبي في الجملة العربية، دراسة دلالية لنماذج من الروابط بين النحو العربي والنحو التوليدي، الدار التونسية للكتاب، ط1، 2005م.
- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، دمشق- 2001.
- مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، دراسة في لغة الجسد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.

- نسيم عون، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

المراجع الإلكترونية:

جاكندوف ضد تشومسكي

http://mustafahaddad.blogspot.com/2007/05/blog-post_15.html